خطبة صلاة الجمعة 9/ 12/ 2022 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال, في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

(أثر الصدقة في رفع البلاء)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فهو المهتَدِ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرْشِداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيٍّ اجتباه، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدِّين كلِّه ولو كَرِه الكافرون، ولو كَرِهَ المشركون، ولو كَرِهَ مَن كَرِه، اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

أيها الإخوة:

للصدقة أثر كبير في رفع البلاء وكشف العناء، وهذا الكلام برهانه وجوده، ودليله وقوعه، فإن للصدقة تأثيراً عجيباً في دفع أنواع البلاء، وهو أمر مجرب ومعلوم عند الناس خاصتهم وعامتهم، وقد دل على ذلك نصوص الشريعة أيضاً.

قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة:262].

وقال الله تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة:195].

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (٧) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (٩) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ [الليل: 5-10].

وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: أخرج الترمذي وابن حبان، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلم: «**الصدقة تطفيء غضب الرب، وتدفع ميتة السوء**».

وجاء في كتاب الترغيب في فضائل الأعمال وثواب ذلك لابن شاهين (المتوفى: 385هـ): (بَابُ مَا يُرَدُّ بِهِ الْبَلَاءُ مِنَ الصَّدَقَةِ:

عَنْ رَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الصَّدَقَةُ تَسُدُّ سَبْعِينَ بَابًا مِنَ الشَّرِّ**»

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِنَّ اللَّهَ لَيَصْرِفُ الْعَذَابَ عَنِ الْأُمَّةِ بِصَدَقَةِ رَجُلٍ مِنْهُمْ**»).

وأخرج الخطيب عن أنس قال صلى الله عليه وسلم: «**الصدقة تمنع سبعين نوعاً من أنواع البلاء أهونها الجذام والبرص**».

وفي الصحيح في حديث كسوف الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ، لَا يَخْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذَلِكَ فَادْعُوا اللَّهَ وَكَبِّرُوا، وَصَلُّوا وَتَصَدَّقُوا، ثُمَّ قَالَ: يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ، وَاللَّهِ مَا مِنْ أَحَدٍ أَغْيَرُ مِنَ اللَّهِ أَنْ يَزْنِيَ عَبْدُهُ، أَوْ تَزْنِيَ أَمَتُهُ، يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ، وَاللَّهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا**».

فَفِي الْحَدِيثِ دَلِيلٌ عَلَى اسْتِحْبَابِ الصَّدَقَةِ عِنْدَ الْمَخَاوِفِ، لِاسْتِدْفَاعِ الْبَلَاءِ وَالْمَحْذُورِ.

وأخرج الإمام مسلم حديث جَرِيرٍ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**مَنْ لَا يَرْحَمِ النَّاسَ لَا يَرْحَمْهُ اللَّهُ**» في لفظ: «**ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ**».

قَالَ ابن بَطَّالٍ: فِيهِ الْحَضُّ عَلَى اسْتِعْمَالِ الرَّحْمَةِ لِجَمِيعِ الْخَلْقِ فَيَدْخُلُ الْمُؤْمِنُ وَالْكَافِرُ وَالْبَهَائِمُ... وَيَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ الْأُولَى الصَّدَقَةُ وَالثَّانِيَةُ الْبَلَاءُ أَيْ لَا يَسْلَمُ مِنَ الْبَلَاءِ إِلَّا مَنْ تَصَدَّقَ.

أخرج الإمام الترمذي عن الحارث الأشعري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (قال سيدنا يحيى بن زكريا: آمرُكم بالصدَقةِ، فإن مَثَلَ ذلك كمثلِ رجل أسَره العدوُّ، فأوثقوا يديه إلى عنقه، وقَدَّمُوه ليضربوا عنقه، فقال: أنا أفْدِي نفسي منكم بالقليل، والكثير، ففَدَى نَفْسَه منهم).

وأخرج أبو الشيخ في الثواب عن أبي أمامة: " داووا مرضاكم بالصدقة".

قال في شرح الجامع الصغير: (داووا مرضاكم بالصدقة): من نحو إطعام طعام وإغاثة ملهوف وكل معروف (فإنها تدفع عنكم الأمراض والأعراض).

وفي بعض الآثار: باكروا بالصدقة، فإن البلاء لا يتخطى الصدقة.

فالصَّدَقَة وَالْبَلَاء فرسَا رهان أَيّهما سبق لم يلْحقهُ الآخر وَلم يتخطاه.

أيها الإخوة:

لما جاء الوحي رسول الله صلى الله عليه وسلم بإقرأ نزل إلى السيدة خديجة يرجف فؤاده وقال: زملوني زملوني، دثروني دثروني، ثم قال لها: يا خديجة لقد خشيت على نفسي فقالت رضي الله عنها: " كلا، أبشر؛ والله لا يخزيك الله أبداً؛ إنك لتصل الرحم، وتحمل الكلّ، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق".

فكيف عرفت هذا وكيف قالته؟!

لقد عرفت السيدة خديجة رضي الله عنها وهي العاقلة الفطنة سنن الله في خلقه، ومنها أن المنفق المتصدق يفوز بالحياة الطيبة، ولا تكون عاقبته إلا الرعاية من الله والكرامة.

سأل رجلٌ ابن المبارك يا أبا عبد الرحمن قَرْحَةٌ خرجت في ركبتي منذ سبع سنين، وقد عالجت بأنواع العلاج وسألت الأطباء فلم أنتفع به، قال: اذهب فانظر موضعاً يحتاج الناس الماء فاحفر هناك بئراً فإني أرجو أن تنبع هناك عين ويمسك عنك الدم، ففعل الرجل فبرَأَ.

وقال الإمام البيهقي: وفي هذا المعنى حكاية شيخنا الحاكم أبي عبد الله رحمه الله فإنه قَرِحَ وجهُه وعالجه بأنواع المعالجة فلم يذهب وبقي فيه قريباً من سنة، فسأل الأستاذ الإمام أبا عثمان الصابوني أن يدعو له في مجلسه يوم الجمعة فدعا له، وأكثر الناس التأمين، فلما كان يومُ الجمعة الأخرى ألقت امرأة في المجلس رقعة بأنها عادت إلى بيتها واجتهدت في الدعاء للحاكم أبي عبد الله تلك الليلة فرأت في منامها رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه يقول لها قولي لأبي عبد الله يوسع الماء على المسلمين، فجئت بالرقعة إلى الحاكم، فأمر بسقاية بُنِيَت على باب داره، وحين فرغوا من بنائها أمر بصب الماء فيها وطَرْحِ الجَمَد في الماء، وأخذ الناس في الشرب، فما مر عليه أسبوع حتى ظهر الشفاء وزالت تلك القروح وعاد وجهه إلى أحسنِ ما كان، وعاش بعد ذلك سنين.

فالحاصل أن الصدقات ترفع البلاء وتدفع الضراء والبأساء.

أيها الإخوة:

جاء في كتاب عدة الصابرين: (في الصدقة فوائد ومنافع لا يحصيها الا الله؛ فمنها: أنها تقى مصارع السوء وتدفع البلاء والعين وشر الحاسد، وتدافع عن الرجل المظلوم، وتطفئ الخطيئة، وتحفظ المال، وتجلب الرزق، وتفرّح القلب، وتوجب الثقة بالله وحسن الظن به، وترغم الشيطان، وتزكى النفس وتنميها، وتحبب العبد إلى الله وإلى خلقه، وتستر عليه كل عيب، كما أن البخل يغطى عليه كل

حسنة، وتزيد في العمر، وتستجلب أدعية الناس ومحبتهم، وتدفع عن صاحبها عذاب القبر، وتكون عليه ظلاً يوم القيامة، وتشفع له عند الله، وتهوّن عليه شدائد الدنيا والآخرة،...

وفوائدها ومنافعها أضعاف ذلك، وبالجملة فالمحسن المتصدق في خَفَارة إحسانه وصدقته، عليه من الله جُنة واقية وحصن حصين، وفي شرح البخاري حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم يقول فيه: أذهبوا البلاء بالصدقة، وقد قالوا: صَدَقَةُ الْقَلِيلِ تَدْفَعُ الْبَلاءَ الْكَبِيرَ).

أيها الإخوة:

إننا اليوم أحوج ما نكون لأن يعين بعضنا بعضاً، ويساند بعضنا بعضاً، ويرحم بعضنا بعضاً، أحوج ما نكون لأن ينفقَ الواجد ونعينَ الفاقد، أحوج ما نكون للتَّراحم والتَّعاضد والتكافل، قال الإمام الحسن البصري: لقد عهدت المسلمين وإنَّ الرَّجل فيهم يصبح يقول: يا أهلاه يا أهلاه، يتيمَكم يتيمَكم، يا أهلاه يا أهلاه، مسكينَكم مسكينَكم، يا أهلاه يا أهلاه، جارَكم جارَكم.

فاستوصوا بأنفسكم وأهليكم وجيرانِكم ومَنْ حولَكم خيراً.

والحمد لله رب العالمين